



" الجرائم الثقافية الجرائم الثقافية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية: 1962-1830 "
"حتى لا تبقى الذاكرة مجرد ذكري"

"فجأة، أظلمت السماء واسودت بدخان كثيف متصاعد من الكتب المحترقة، فترى صفحات مشتعلة هنا وهناك منفصلة عن باقي الصفحات التي كانت كتابا، تطفو في الأعلى ثم تهوي وكأنها ثلج أسود يتساقط على أطراف المدينة. ولو مددت يدك وأمسكت بإحدى الصفحات المتطايرة لتمكنت من الشعور بمرارة اللهب و بهول الفاجعة و إن استطعت قراءة بعض الكلمات، سرعان ما تفتت الصفحة بين أصابع يدك وتذوب الحروف ، كسراب في صحراء قاحلة..."

لم أجد مقطعا آخر أبلغ من هذا التصوير الذي يقدمه كمال بكرسيك Kemal Bakarsić محافظ مكتبة المتحف الوطني للمكتبة الوطنية و الجامعية اليوسنية و النار تآكل أكثر من مليوني كتاب من بينها مخطوطات عربية نفيسة بضربة من الصرب ليلة 25-26 اوت 1992 في إطار سياسة التصفية العرقية، لنعبر ما قد يحس و يشعر به أي إنسان أمام فاجعة مثل هذه.

صحيح أن حادثة حريق مكتبة الإسكندرية ، في زمن كليوباترا ما زال عالقا بالأذهان و يعلو فوق سطح الذاكرة الإنسانية كلما وقعت كارثة من هذا النوع، رغم أنه مجرد ذكرى امتزجت بها الأسطورة، حيث تقول كتب التاريخ أن هذا المبني لم يكن مقصودا بحد ذاته، فالحادث بلغة عصرنا اليوم كان " حادثا عرضيا" « Collateral damage »

إن أسطورة مكتبة الإسكندرية من أقوى الأساطير، ولا نعلم كيف ولماذا و متى رسخت. فحسب ما جاء في دائرة المعارف العالمية صفحة 623 فإن المكتبة ذاتها " احترقت عام 47 قبل الميلاد عندما قام يوليوس قيصر بإضرام النيران في الأسطول المصري و مستودع الأسلحة حتى يمنع العدو من الاستيلاء على أسطوله الذي تركه دون مراقبة في الميناء الكبير فبلغت أسنة اللهب الكتب الثمينة" ورغم هذا يبقى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه متهما إلى يومنا هذا عند بعض المستشرقين الحاقدين على الحضارة التي قامت على "أقرأ" و زرعت المكتبات من الصين إلى الأندلس لتحصد حضارة سادت و قادت البشرية لقرون .

إن حريق المكتبة الجامعية لجامعة الجزائر ليس بالجديد فتاريخ الإنسانية حافل بهذا النوع من الجرائم، و تاريخ المكتبات زاخر بحوادث تدميرها منذ القدم فهي القرار المكين لما وصل إليه الإنسان من علم و فكر و هي الحاضنة لوعيه و سلاحه الذي يبني به و يعلو. و تدميرها يبقى الشعوب على جهلها لتكون رعية سهلة التطويق والحكم أو لفرض معتقد جديد.

" إن الكتب و الأفكار هي التي تؤثر في التاريخ ، إنها العواصف التي تغير وجه العالم " يقول مالك بن نبي، المفكر الجزائري ، و عليه جعل جميع الطغاة مهما كانت مشاربهم، من المكتبات و الكتب عدوا لهم:
فها هو أختانتون، الفرعون يحو آثار ما قبله من الفراعنة ليفرض دينه الجديد و معتقده . ثم جاءت بعده عصور ما قبل الميلاد: مؤلفات بوليت و سيسرون Cicéron و أجزاء كاملة من مؤلفات تاسيت Tacite و بلين القديم Plin l'ancien و تيت ليف Tite Live .

و في الصين ها هو كين شي هوانج Qin Shi Huang 259-210 قبل الميلاد ، الإمبراطور الصيني العبقري العالم ، الذي وحد المملكات الست و وحد الخط و الكتابة الصينية و قام ببناء الصور العظيم: أمر بإحراق جميع المكتبات و الكتب و تعاليم كنفوشيوس Confucius لإرساء حكمه و إيديولوجيته. ثم يأتي آلاف السنين بعده، «إمبراطور» صيني آخر في شخص الرئيس ماو تسي تونغ Mao Tsé Toung الذي كان "من سخرية القدر" مكتبيا فقام خلال ثورته الثقافية بالصين و باسمها (1966-1976) بغلق جميع المكتبات لفترات متفاوتة تم حرق البعض منها ناهيك عن المصاحف و الكتب العربية الإسلامية التي أحرقتها في المناطق الغربية للصين ذات الكثافة السكانية المسلمة. و لم يسلم من ذلك سوى مؤلفات ماركس و لينين و ماو Marx, Lénine , Mao.

وقد استعمل مصطلح "الحرق بالنار" أو «*acto da fé*» لأول مرة ، باللغة البرتغالية من اللاتينية «*actus fidei*» الذي يعني باللغة العربية " العمل القائم على الإيمان " مع ظهور محاكم التفتيش الإسبانية و البرتغالية . و استخدمت الكلمة للتعبير عن عمليات حرق المخطوطات علنيا.

سنوات قليلة بعد ما يسميه المؤرخون الأسبان " السنة الحاسمة " مع سقوط مملكة بنو الأحمر بغرناطة أمر قسيس المدينة بحرق كل الكتب باللغة العربية حيث ذهبت كل الكتب المؤرخة للأندلس من سنة 711 إلى 1492 . و تطاولت يد الغرب المتعطر إلى العالم الجديد أمريكا حيث أمر ديبوقو دي لاندو Diego de Landa القس الأسباني سنة 1562 بحرق كامل الوثائق المكتوبة بلغة المايا و لم يصل إلينا سوى أربعة أسفار منها (السفر هو الكتاب على العموم و يغلب إطلاقه على الكتاب المُكرَس) (Latin caudex) codex



وقد دفع العالم العربي الإسلامي ثمنا باهظا في مثل هذه الجرائم، حتى في أوج حضارته» التي كانت محفلا للمكتبات « فمكتبات الخلفاء في قرطبة كانت غنية بالآلاف الكتب النادرة التي لم نعد نذكر منها سوى العناوين التي تحصرها كتب المراجع أو تلك التي تؤرخ لسقوط الحضارة العربية .

وقد ذكر لنا التاريخ مصير هذه المكتبات و الكتب من دخول جيوش المغول بقيادة هولاكو إلى الحملات الصليبية المتتالية وتجوالهم في المدن المهزومة وعلى رماحهم المخطوطات النفيسة ، إلى جيوش الناطو في أيامنا هذه (من منا لا يذكر صرخة محافظة متحف بغداد و هي تري القاعات خاوية ، في أبريل 2003 حيث نهبت كتابات نادرة وألواح آشورية و وثائق هاشمية أو عثمانية... تلخص تاريخ الإنسانية) .

قد يقول قائل : " لكن هذا لم يمنع الملك المتدين فيليب الثاني الذي منع رعاياه من تكلم اللغة العربية، و أمر بإصدار قاموس باللغة الأسبانية منقحا من كل الكلمات العربية، من جمع الآلاف المخطوطات العربية النادرة بالأسكوريال Escurial و التي تشكل اليوم مفخرة الثقافة الأسبانية. أو المكتبات العالمية الأخرى كالمكتبة الوطنية بفرنسا أو المتحف البريطاني أو مكتبة الكونجرس الأمريكي وحتى مكتبة لينين الوطنية التي تحوي معظم تراث الثقافة العربية الإسلامية المكتوب. " نعم لكن كيف حصلوا عليها و لماذا؟ يعتبر هذا اغتيال للذاكرة و هي جريمة ضد الإنسانية مثلها مثل "الإبادة الجماعية" و "التصفية العرقية" ! إذ تعتبر الهيئات الدولية أن التدمير المرتب و المتعمد للمكتبات و الأرشيف و تحويلها من بلد إلى بلد آخر هو جريمة ضد الإنسانية بحكم القانون الدولي و اتفاقيات جنيف 1949 و لاهاي 1954.

وكان من المنتظر من الثورة الفرنسية التي نصت على حقوق الإنسان وحرية الرأي أن تعترف بحق الكتاب و المكتبات ، لكن أثبتت عدوانها له حيث تم في 19 جوان 1792 إحراق أعداد هائلة من الكتب بساحة فنوم Vendôme، أمام تمثال لويس الرابع عشر.

إن أول ما قام به النازيون ذاك الحريق الذي تم في ساحة الأوبرا Opernplatz ببرلين سنة 1933 ومن بين الكتب المحروقة كتاب الأديب و الصحفي اليهودي كريستيان يوهان هنريش هاين Christian Johann Heinrich Heine (1797-1856) المعروف بمقولته الشهيرة المستخرجة من مسرحيته "المنصور" سنة 1820 تحت عنوان *Almansor/Das Innere eines alten, verödeten Maurenschlosses* و التي تطرق فيها إلى حريق الكتب بقرطبة: " ما هي إلا المقدمة فحيثما يحرق كتاب سيحرق في الأخير الرجال " « *Das war ein Vorspiel nur, dort wo man Bücher / Verbrennt, verbrennt man auch am Ende Menschen.* » وكانت مجلة اتحاد المكتبيين الألمان، « *Börsenblatt des deutschen Buchhandels* » تدرج في كل عدد قوائم الكتب الممنوعة التداول في المكتبات و يخضع المكتبي إلى إضفاء التعهد التالي: "أتعهد بموجب هذا ، سحب كل الكتب المدونة في القائمة السوداء و عدم إعارتها للقراء، و علمت أن إغارة هذه الكتب يعاقب منها القانون"

وكلنا يتذكر مركز الدراسات الفلسطينية بيروت الذي أحرقتة و نهبتة الجيوش الصهيونية بقيادة شارون كمحاولة فاشلة منها للقضاء على الذاكرة الفلسطينية. و منظر السنة النيران و هي تنبعث من نوافذ المكتبة الوطنية لسراييفو، محطمة كل التراث المكتوب للثقافة البوسنية و المخطوطات العربية الإسلامية مفخرة الانتماء.

و أخيرا بالأمس القريب جدا يوم 20 مارس 2011 لما قام القس Terry Jones بإحراق نسخة من المصحف الشريف تحت مرأى أتباعه و المنخرطين في كنيسته Dove World Outreach Center اللذين كانوا يلتقطون صورا لهم أمام المصحف و هو يشتعل .

و اختلفت الآراء لما تحول يوم 18 ديسمبر 2011 مبنى المعهد المصري " إلى خراب يتصاعد منه الدخان و التهمت النيران عشرات الآلاف من الكتب. فمنهم من يقول إنها " حادثا عرضيا " « Collateral damage » آخر ، وقع أثناء الاشتباكات بين الجيش والشباب على أمتار من ميدان التحرير، ويقول زين عبد الهادي مدير دار الكتب و الوثائق القومية أنه «يشعر أن للنظام القديم يدا في هذا الحريق، وأن أنصار الرئيس المخلوع حسني مبارك يحاولوا زرع الفتنة والفوضى».

وإدراكا منها لأهمية التراث الثقافي للبشرية و ما مسه من تدمير خلال الحرب العالمية الثانية، أعدت اليونيسكو اتفاقية لحماية في حال نشوب نزاعات مسلحة، و تمت المصادقة على الاتفاقية بلاهاي سنة 1954 و قد قبلت الدول الموقعة على الاتفاقية ما يلي:

- تحديد المعالم التي يجب حمايتها براهية الدرع الأزرق
- إنشاء وحدات خاصة داخل القوات المسلحة لتحسيس الجنود
- منع تصدير أملاك الثقافة لأرض محتلة نحو أخرى
- إعادة هذه الأملاك إلى البلد الذي تم تصديرها منه
- و يمنع البروتوكول بشكل واضح إبقاء الأملاك الثقافية بحوزة البلد المتضرر على سبيل التعويض عن خسائر الحرب.



لكن الأعمال البربرية المرتكبة في حق الأملاك الثقافية خلال نزاعات اندلعت في نهاية السنوات 80 و بداية 90 أبرزت نقائص في تطبيق الاتفاقية فشرعت اليونسكو في مراجعة الاتفاقية ابتداء من 1991 و صودق على بروتوكول ثاني خلال المؤتمر الدبلوماسي بلاهاي في مارس 1999 و مدد هذا البروتوكول الثاني بشكل واضح الأحكام المرتبطة باحترام الأملاك الثقافية و تسيير الخلافات، مقداً بذلك مستوى حماية ارفع و أوسع من سابقتها فهو يعترف أيضا بالعقوبات التي تتخذ تجاه الخروقات الخطيرة في حق التراث الثقافي و يحدد الشروط التي يتم ضمنها الإلزام بالمسؤولية الجنائية الفردية .

عندما دمر الألمان مكتبة لوفان LOUVAIN ببلجيكا على كاملها في 25 أوت 1914، نصت معاهدة السلام بفرساي انه على الألمان تسديد مبلغ 10 ملايين فرنك لشراء كتب تعويضا للمكتبة إضافة إلى ذلك و كتعويض على خسارة 1750 كتاب نادر كان موجودا بالمكتبة، فرض على المكتبات الألمانية تقديم نسخ من كتبهم النادرة لبلجيكا لكن في عام 1996 و في إطار برنامجها "ذاكرة العالم" مولت اليونسكو دراسة عن المكتبات و دور الأرشيف المدمرة خلال القرن العشرين. وقد أنجز كل من هانس فان دير هوفن و خوان فان البادة Hans Van der Hoeven et Joan van Albada هذه الدراسة و نشرت تحت عنوان "الذاكرة المفقودة" وكانت قائمة المكتبات التي دمرت كلية أو جزئيا مذهلة و لم يذكر التقرير المكتبة الجامعية لجامعة الجزائر !

المكتبة الجامعية:

في 4 مارس 1961 ظهرت و لأول مرة بمدينة الجزائر كتابات رموز O.A.S منظمة الجيش السري تبدأ بهذه الكلمات: " إن الساعة الأخيرة لفرنسا بالجزائر هي آخر ساعة لفرنسا في العالم و آخر ساعة للغرب " و بإفلاتها التام من أي عقاب بل و استفادتها من تواطؤ القوات الشرعية توسعت رقعة نشاطها و تنوعت طرقها "مهرجان التفجيرات" " عملية ثلاثية الألوان" " عملية فاطمة " التي استهدفت قتل عدد كبير من المسلمات العاملات في بيوت الفرنسيين "المظاهرات" "القدور" "رايات الحرب" "الازدحام" " و قد تحولت إلى قوة سياسية فعلية. فهي تمارس أسلوب التهديد و التنفيذ و التجنيد، لقد كانت فترة أو ملحمة عند البعض: الاعتداءات، مطاردة العربي، التفجير العشوائي و كان شعارها "م.ج.س. تنفذ عملياتها أينما شاعت حيثما شاعت و متى شاعت وكيفما شاعت"

في 6 جوان 1962، أعلنت إذاعة المنظمة ما يلي: "إننا نطالب من رجال قواتنا الخاصة استئناف العمليات و هذا بضرب الأهداف الاقتصادية خاصة و نسمح للنساء و الأطفال والشيوخ العودة إلى ارض الوطن الأم ليسهل علينا تطبيق سياسة الأرض المحروقة " و في 7 جوان 1962 و على الساعة 12.27 دمرت المكتبة الجامعية بالجزائر هذه المكتبة التي يعتبرها الجميع أروع ما " أنجزته الرسالة الحضارية الفرنسية بالجزائر "، دمرها هولاة أنفسهم اللذين ادعوا أنهم استعمروا الجزائر و أتوا معهم بحضارة إلى بلد سكانه جهلة ."

إننا لن نحاول معرفة الدوافع و لا الأسباب و لا العلاقة الموجودة بين " السبب و الأثر " التي أدت إلى ارتكاب هذه الجريمة. و لن نتكلم عن منظمة الجيش السري الإرهابية و لا عن أنصار الجزائر الفرنسية، فهذا كله يدفع بنا إلى الاعتقاد أن مرتكبي الفعل مجموعة صغيرة شاذة... إن تاريخ الجزائر منذ 1830، و الأعمال التي ارتكبها الإستعمار منذ اللحظة الأولى و هو يظأ البلاد، التدمير المكثف للمدارس و المكتاتب و المدارس القرآنية، مصادرة التاريخ الجزائري بكل عناصره و تدمير مجموع مؤلفاتنا الثقافية و العلمية المحفوظة في الزوايا و المساجد و المدارس القرآنية و لدى الخواص، محاربة التعليم و منع فتح المدارس لتعليم اللغة العربية و الدين الحنيف... إن كل هذا قد دير له منذ 1830 إلى غاية 1962 في إطار استعمار تعميمي و استعمار تدميري، كل هذا في إطار إبادة أمة و استخلافها بعنصر آخر. عمل مؤسساتي، و حريق المكتبة كان مسك الختام كما يقال.

على عكس جامعة القاهرة أو دمشق أقدم جامعات مع جامعة الجزائر في الوطن العربي، لقد ظهرت جامعة الجزائر إلى الوجود انطلاقا من منظور استعماري محدد "منح فرصة التعليم لجميع أطفال الأمم التي ساهمت في أعمار الجزائر" و متطلبات الاستعمار سمحت لعدد جد محدود من الجزائريين المسلمين من تجاوز عتبة الجامعة: فسيكون للمعمرين "إطاراتهم الوسيطة" عرب الولاء كما يقال. بنيت عنوة لخدمة المستعمر و ستهدم حقا حتى لا يستفاد منها بعد الاستقلال.

وفرنسا بصفتها البنت البكر للكنيسة أرادت أن تكون بل و جعلت نفسها وريثة روما المسيحية و كان لها حق "نشر الأنوار باسم الحضارة المسيحية. و شرعت بعد عملية الإنزال بسيدي فرج في منح فرص التعليم بالجزائر لأبنائها و أبناء الأمم التي ساهمت في أعمار الجزائر. أما بالنسبة للأهالي، المسلمين فالأمر واضح: " ليس هناك غموض: لو علمنا خدامنا فهذا يعني أننا جعلناهم يتساوون معنا اليوم و غدا سيكونون أسبادا علينا... " فلا مدارس أهلية و لا تعليم مهما كان مستواه ادني" فتم غلق المكتاتب و المدارس القرآنية و الزوايا لسبب بسيط: لا وجود لحرية التعليم بالنسبة للمسلمين و هذا بموجب المادة 8 من المرسوم الصادر بتاريخ 15 أوت 1875 و الذي يمنح الحاكم العام حق الاعتراض على فتح مؤسسات حرة لفائدة الصالح العام. إلا أن احتياجات المستعمر تتطلب وجود "إطارات" وسيطة بين القوة المحتلة و المحتل، منح المسلمون "أبناء الوجهاء" بمعني الناشئين عن " هذه الإقطاعية المرتزقة التي أوجدتها المستعمر من لا شي " الحق في التعليم.

ولكن لم يمثل هذا إلا النزر القليل، فقد ذكر السيد ش. ر. إجران أن النسبة التمدريس التي كانت تقارب 2% عام 1888 لم تبلغ سوى 3.5% عام 1902، فلم يكن بإمكان فرنسا الافتخار بتمدرس 3% على التقريب من الأطفال المسلمين" و على الرغم من ذلك، فإن الشهادات واضحة: " ففي عام 1830 كان الجزائريون يعرفون القراءة و الكتابة و الحساب، و أضافت لجنة 1833 أن أغلب المنتصرين كانوا أقل تعليما من



وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجزائر « بن يوسف بن خدة »
UNIVERSITE D'ALGER « BEN YUCEF BENKHADDA »
المكتبة الجامعية
BIBLIOTHEQUE UNIVERSITAIRE
02 شارع ديدوش مراد، الجزائر

الهاتف: 021.63.71.01

bu@univ-alger.dz

<http://www.univ-alger.dz>

المنهزمين. وقد لاحظ كاميل Campbell عام 1835 « أن الجزائريين أكثر ثقافة من المنتصرين. و عند دخولنا الجزائر كانت هناك أكثر من مائة مدرسة بمدينة الجزائر وحدها و ستة و ثمانون بمدينة قسنطينة و خمسون بمدينة تلمسان، و كان في كل من مدينة الجزائر و قسنطينة 6 إلى 7 مدارس ثانوية كما كانت بالجزائر القطر 10 زوايا (جامعات) وكان لكل قرية أو مجموعة من المد اشر أو عرش مدرستها الخاصة أو القرآنية فأحدث احتلالنا لهم الكثير من الأضرار غير القابلة للإصلاح. فهل قمنا على الأقل بتعويضها؟ فأجابنا قداصة دوبوس متأسفا على انه عام 1840 لم يكن هناك سوى 13 مدرسة فرنسية عربية لكل القطر الجزائري 3 فادا كان بالنسبة لنا نحن المكتبيين "إن تنظيم المكتبات مؤسس أيضا على تطبيق الايدولوجيا السائدة" فان القاعدة التي تركز عليها المكتبة الجامعية قد تم وضعها و تحديدها فمكتبة فترة الاستعمار تستجيب لتعريف السيد روستان: " إن المكتبات تستجيب لحاجيات ثلاث: تتمتع التعليم الذي يوفره المعمرون للسماح للمعمرين ذوي الأصول الأجنبية من تحصيل معرفة جيدة بلغتنا و أدبنا و ثقافتنا و إعطاء الأهالي ليس فقط فكرة عن ثقافتنا بل و أيضا افتخاره بثقافته" عام 1931 خلال انعقاد المؤتمر الدولي بالجزائر عن المطالعة العامة.

في نوفمبر 1954 اندلعت حرب أخرى فكانت أكثر الحروب التي شنها الشعب الجزائري فضاحة و بشاعة من اجل استرجاع الاستقلال , فأقم الطلبة الجامعة في المعركة حيث أعلن يوم 19 ماي 1956 اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين فرع مدينة الجزائر عن إضراب الطلبة الجزائريين بالجامعة و جاء في البيان ما يلي : " بعد اغتيال أخينا زورور بن القاسم من طرف الشرطة الفرنسية، وبعد الفتك بأخينا الكبير الطبيب ابن زرجب ، وبعد المأساة التي أصابت أختانا الشاب إبراهيمي التلميذ بالمعهد الثانوي "بجاية" حيث أكلته النار حيا في قريته التي أحرقتها الجيش الفرنسي أثناء عطلة عيد الفصح ، وبعد تنفيذ الإعدام بدون تحقيق ، ولا استنطاق ، ولا محاكمة ، على الأديب الجليل رضا حوجو الكاتب بمعهد ابن باديس بقسنطينة ... وبعد الحملات الرامية إلى إدخال الرعب في قلوب أعضاء الإتحاد العام للطلبة الجزائريين المسلمين ، وبعد كل هذا فما نحن نرى الشرطة تختطف من بين أيدينا في ساعة الفجر أختانا فرحات حجاج ... وقد عذبتة وحبسته عشرة أيام (بمشاركة السلطة القضائية والإدارة العليا بالجزائر اللتين كانتا على علم بقضيته) إلى أن بلغنا ، وأحشاؤنا تلتهب من الأسى ، إن شرطة مدينة "جيجل" ذبحتة ذبحا بمساعدة الحراسة الليلية...وحقيقة الأمر أن المزيد من الشهادات الدراسية لا يؤدي بنا إلى تحسين الحالة الراهنة المتمثلة في جثث ذوينا المفتوك بهم فتكا ذريعا...ولماذا يا ترى تصلح تلك الشهادات التي مازالت تعرض علينا ؟ بينما يناضل شعبنا نضال الأبطال وتنتهك حريات أمهاتنا وزوجاتنا، وإخواننا، ويتساقط أولادنا، وشيوخنا ، تحت رصاص الرشاشات ، ونيران القنابل ، والكبريت المحرق ، ونحن - إطارات المستقبل - فماذا يعرض علينا لنسيره ...؟ لاشك الخراب، وأكواما من الأجساد الهامدة المقطعة إربا إربا، ...وإننا نشعر بأن وقوفنا موقف القاعد المتفرج أمام الحرب التي تجري معاركها تحت أعيننا ، يجعلنا شركاء في المفتريات البذيئة الصادرة من الأفاكين الأثمين ضد جيشنا الوطني الباسل ، كما نشعر كذلك بأن الهناء الزائف الذي ركنا إليه لم يعد يرضي ضمائرنا ... ولذا فالواجب ينادينا إلى القيام بمهمات تفرضها الظروف علينا فرضا ، وتتسم بسمة السمو والمجد.فالواجب ينادينا إلى تحمل الآلام ليلا ونهارا بجانب من يكافحون ويموتون أحرارا تجاه العدو.وعليه فإتانا نقوم من الآن بالإضراب عن الدروس والامتحانات لأجل غير محدود.فلننهجر مقاعد الجامعات ولننتوجه إلى الجبال والأوغار.ولنلتحق كافة بجيش التحرير الوطني وبمنظمتها السياسية جبهة التحرير الوطني أيها الطلبة والمثقفون الجزائريون، أنرتد على أعقابنا والحال أن العالم ينظر إلينا ، والوطن ينادينا والبلاد تدعونا إلى حياة العز ، والبطولة ، والمجد؟؟؟"

وستشهد الجامعة بعد ذلك أحداثا عنيفة يقاطع فيها الطلبة الدروس و يحتل الجيش المستدمر حرمتها و جعل منها الضابط لاقيارديج و **Lagailarde** العسكري المتمرد ضد الجنرال ديغوال رئيس الدولة الفرنسية **De Gaulle** ، مقرا لقيادته، مهددا نسفها مما أدى إلى إغلاقها بعد العملية التخريبية ليلة 7 إلى 8 افريل 1962 و التي حطمت العديد ممن المخابر ثم عملية ثانية في شهر جوان من نفس السنة تحطمت المكاتب المطلة على الساحة و جراء ذلك فر الأساتذة و العمال من هذه الجامعة و حول المستدمر الأرشيف إلى مرسيليا بفرنسا خلال بداية شهر جوان من نفس السنة.

لم يعد هناك أمل، فمنظمة الجيش السري أنصار الجزائر الفرنسية لها حرية التدمير. و في 7 جوان 1962 انفجرت ثلاث قنابل داخل المكتبة الجامعية البناية المركزية للجامعة. هكذا تنتهي المرحلة الأولى لهذه الجامعة، دمرتها نفس أيادي أولئك الأشخاص اللذين ادعو أنهم جاءوا بالحضارة لبلد يسود أهله الجهل و تحت شعار تافه "سياسة الأرض المحروقة"

مند نشأتها، كانت مدرسة الطب تفتخر بمكتبتها الصغيرة التي تحتوي ما بين 700 إلى 800 مجلد و اكتفت المدرسة بمكان في الجزائر العاصمة حيث شغلت مكتبة المدرسة لفترة محددة قاعة صغيرة. بينما أخذت مدارس الحقوق و الآداب و العلوم التطبيقية مقرا لها في بناية كائنة بشارع سيبيون .فالبناية التي هي عبارة عن منزل قديم ذو طابع معماري عربي إسلامي كان في السابق إقامة للداي احمد لم يكن بالإمكان احتواها للمدارس و المكتبة معا و عليه شغلت المكتبة من جوان 1880 إلى 13 مارس 1884 موقعا آخر بالمدينة. و ابتداء من 13 مارس 1884 انتقلت مكتبة المدارس إلى بناية واسعة ، موقعا لن تغادره إلا للإقامة النهائية في بناية جامعة الجزائر مستقبلا و التي بدأت بها الأشغال عام 1884. في 28 جانفي 1888 شغلت المكتبة الأماكن المخصصة لها في المبني الجديد الكائن في حيز محاط بأسوار ضخمة، والمبني بتشكيلته الصلبة و هندسته المتفردة و أعدته الرائعة كان يمثل "رخاء التقدم" الاستدماري و "عظمة الرسالة الحضارية" أمام الحرمان و البؤس المادي و العلمي للمدينة العربية المجاورة لها " القصبة العتيقة".

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

UNIVERSITE D'ALGER « BEN YUCEF BENKHADDA » « جامعة الجزائر » بن يوسف بن خدة
BIBLIOTHEQUE UNIVERSITAIRE المكتبة الجامعية
02 Rue DIDOUCHE Mourad, Alger 02 شارع ديدوش مراد، الجزائر

الهاتف: 021.63.71.01

bu@univ-alger.dz

<http://www.univ-alger.dz>



لكن "الربع ساعة" الأخير للوجود الفرنسي بالجزائر حسب المؤرخين كانت قد دقت أجراسه عام 1960 لتتوالى أحداث إثر ذلك حيث شرع في منح رخص للأساتذة للدخول للحرم الجامعي ثم حطمت عملية أخرى في شهر ماي المكاتب المطلة على الساحة الشرفية و كل ما تحتويه ثم تلاها عودة عمال المكتبة الجامعية إلى بلدهم الأصلي للمشاركة في دورة تدريبية وتم نقل أرشيف الجامعة نحو جامعة اكس بمرسيليا .علب أخرى تحتوي على تاريخ الجزائر تنظم إلى العلب الأخرى من الأرشيف الذي لا يزال رهينا في دور الأرشيف الفرنسية، حاجزا ما يفوق قرنا ونصف قرن من تاريخ الوطن تحت سيطرة المستعمر الفرنسي و بعض أرشيف الفترة العثمانية , وفي 7 جوان 1962 على الساعة 12.30 وضعت أياد إجرامية قنابل داخل المكتبة تحولت أقدم مؤسسة ثقافية و علمية و " أفضل " ما أنجزته " الرسالة الحضارية" في لحظات إلى مجرد كومة من الرماد " : هدمت البناية بقاعتها و مخازنها الربعة بأكملها، و أتلقت عناوين دوريات و سلاسل يفوت عمرها المائة سنة، و كتب من السنوات الأولى للطباعة بالحرف العربي و الحرف اللاتيني تعتبر من المعالم المطبعية و مخطوطات عربية و حددت الإحصائيات إلى 400,000 ألف كتاب أكلته السنة النيران و تحطيم البناية بأكملها.

هكذا انتهت المرحلة الأولى لتاريخ المكتبة الجامعية، ليحل محلها ملحمة جديدة، ملحمة إعادة بنائها و رفع التحدي.

عبد الله عدي،

محافظ المكتبة الجامعية

جامعة الجزائر 1